

من أمراض القلوب

- 1- النفاق
- 2- الرياء
- 3- مرض الشبهة والشك والريبة
- 4- سوء الظن
- 5- الحسد والغيرة
- 6- الكبر والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين والاستهزاء بهم
- 7- الحقد والغل
- 8- اليأس
- 9- الهوى ومحبة غير الله
- 10- الخشية والخوف من غير الله
- 11- الوسواس
- 12- قسوة القلوب
- 13- التحزب لغير الحق

النفاق

وهو من أخطر هذه الأمراض، وأشدّها فتكا بالإنسان، وأفظعها عاقبة في الآخرة. ولا يتصور أحد أن النفاق قد انتهى بنهاية عهد النبي ﷺ ونهاية شخصياته البارزة كعبد الله بن أبي بن سلول وغيره، بل إن النفاق الآن لا يقل خطورة عنه في الماضي. ولقد كان السلف الصالح من أشد الناس خوفا من النفاق، وهذا عمر بن الخطاب -وهو من هو صحبة وعلماء وعملا وإخلاصا- يناشد حذيفة: هل عدني رسول الله ﷺ من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحدا بعدك⁽¹⁾.

1 - نسيه في كنز العمال (344/13) إلى رسته.

وهذا ابن أبي مليكة - رحمه الله - وهو سيد من سادات التابعين يقول: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي، كلهم يخشى النفاق على نفسه (1).

ونحن الآن نقول: هل نجد ثلاثين يخافون النفاق على أنفسهم، ومن تأمل صفات المنافقين مما ذكره الله في كتابه في مواضع كثيرة، وما ذكره النبي ﷺ علم أن الأمر جد خطير، خاصة ونحن نرى تساهل الناس في الاتصاف بصفاتهم، مع أمنهم من ذلك، ومن ذلك:

أن بعض الناس يتحدث عن القضاة وأخطائهم، ومثالبهم بحق وبغير حق، ويتعدى الحديث إلى أقضيبتهم وأحكامهم. ثم هو يحسن للناس أحوال الغريبين وأحكامهم ومساواتهم، جاهلاً أو متجاهلاً ما هم فيه من شقاء وتبرم وضياع، بتركهم شرع الله وكفرهم بآياته.

والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (2) [سورة النساء، الآية: 65].

وهذا أمر أصبح حديث بعض المجالس، فالله الله من التشبه بصفات المنافقين، والسير في ركايبهم، من كره الدين وبغض المتدينين ونحو ذلك.

الرياء

وهذا مرض جد خطير لخفائه، ولأثره في إفساد العمل، وقلة من يسلم منه، وقد جاء في الحديث يقول الله - تعالى -: ﴿ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكَتَهُ وَشُرَكَهُ ﴾ (3).

وفي الحديث الآخر: ﴿ مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يَرَاءَ يَرَاءَ اللَّهَ بِهِ ﴾ (4) وقد ذكر الله من صفات المنافقين ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (5) [سورة النساء، الآية: 142].

1 - رواه البخاري تعليقا عنه (109/1) وقال ابن حجر: أخرجه المروزي مطولا في كتاب الإيمان، وأبو زرعة في تاريخه.

2 - سورة النساء آية: 65.

3 - رواه مسلم (2289/4).

4 - رواه البخاري (335/11) ومسلم (2289/4).

5 - سورة النساء آية: 142.

وهو أدق من الشعرة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة الظلماء: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ (1) [سورة الفرقان، الآية: 23].

مرض الشبهة والشك والريبة

يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ (2) [سورة آل عمران، الآية: 7].

ويقول سبحانه: ﴿ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (3) [سورة التوبة، الآية: 45].
ويقول: ﴿ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ (4) [سورة التوبة، الآية: 110]. وقال: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا ﴾ (5) [سورة النور، الآية: 50]. ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (6) [سورة الأحزاب، الآية: 12]. ﴿ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ (7) [سورة المدثر، الآية: 31].

وهو من أخطر الأمراض، وأشدّها فتكاً، ولا يزال بالإنسان حتى يوقعه في الشرك والكفر. ودواؤه كثرة الاستعاذة بالله من الشيطان، وكراهية هذا الوارد، ومدافعتة بالاستعاذة بالله، والرجوع إلى الإيمان بالله ورسوله والاعتراف بوحدانيته وصفاته، وفي الحديث: ﴿ لا يزال الناس يتساءلون،

1 - سورة الفرقان آية: 23.

2 - سورة آل عمران آية: 7.

3 - سورة التوبة آية: 45.

4 - سورة التوبة آية: 110.

5 - سورة النور آية: 50.

6 - سورة الأحزاب آية: 12.

7 - سورة المدثر آية: 31.

حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فيقل: آمنت بالله ورسوله ﴿١﴾
(1) وفي رواية: ﴿٢﴾ فليستعذ بالله، ولينته ﴿٣﴾ (2).

سوء الظن

وسوء الظن بالله من أعظم أمراض القلب ولعلنا هنا نقف وقفة يسيرة حوله، للتحذير منه، وبيان خطورته.

فمن الناس من يسيء الظن بالله -تعالى-، حيث يسيء الظن بوعده، ونصره لعباده المؤمنين، ولدعاته المجاهدين.

ومن الناس من يسيء الظن بربه أن يرزقه، فتجده يثق بما في أيدي الناس أعظم من ثقته بما عند الله، ويظن أن رزقه إنما هو بيد الحكومة أو الشركة أو الناس. وتجده يضع لذلك الحسابات، ناسياً التوكل على الله والثقة به، ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (3) [سورة هود، الآية: 6].

وقد ذم الله -سبحانه وتعالى- من يسيئون الظن به، وجعله من أمر الجاهلية ﴿ يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (4) [سورة آل عمران، الآية: 154].

وقال سبحانه: ﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ (5) [سورة

الفتح، الآية: 12]. ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (6) [سورة

فصلت، الآية: 23]. ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ (7)

1 - رواه مسلم (119/1).

2 - رواه مسلم (120/1).

3 - سورة هود الآية: 6.

4 - سورة آل عمران الآية: 154.

5 - سورة الفتح الآية: 12.

6 - سورة فصلت الآية: 23.

7 - سورة الأحزاب الآية: 10.

[سورة الأحزاب، الآية: 10]. ﴿ وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (1)

الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ ﴿ (2) [سورة الفتح، الآية: 6]. ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (3) [سورة الحجرات، الآية: 12].

ويقول صلى الله عليه وسلم ناصحا أمته: ﴿ إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ﴾ (4).

وعلينا أن نحسن الظن بالله، فالله عند ظن عبده به: قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه جل وعلا: ﴿ أنا

عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ﴾ (5) الحديث.

الحسد والغيرة

ومن منا ينجو منهما. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والحسد مرض من أمراض

النفس، وهو مرض غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد.

لكن اللئيم يبيديه، والكريم يخفيه (6) ولذلك يقول الله -جل وعلا-: ﴿ أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ

اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (7) [سورة النساء، الآية: 54]. وأمرنا بالتعود صباح مساء ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

﴿ (8) [سورة الفلق، الآية: 5]..

وفي الحديث المتفق عليه ﴿ لا تباغضوا ولا تحاسدوا ﴾ وعن أبي هريرة رضي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: ﴿ إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ أو قال: ﴿ العشب

﴿ (9)

1 - سورة يونس آية: 36.

2 - سورة الفتح آية: 6.

3 - سورة الحجرات آية: 12.

4 - متفق عليه.

5 - رواه أبو داود.

6 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفائها لشيخ الإسلام.

7 - سورة النساء آية: 54.

8 - سورة الفلق آية: 5.

9 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفائها لشيخ الإسلام.

ويقول الحسن البصري: عمه في صدرك، فإنه لا يضرك، ما لم تعتد به يد أو لسان⁽¹⁾.
وأما عن علاجه، فقد ذكر شيخ الإسلام كلاماً طيباً في علاجه، حيث يقول: "من وجد في نفسه حسداً لغيره، فعليه أن يستعمل معه التقوى، والصبر، فيكره ذلك من نفسه"⁽²⁾.
ولما كان الحسد لا يسلم منه أحد خاصة النساء والعوام، أحببت أن أنبه على الفرق بين الحسد والغبطة، فالأول مذموم كما سبق-، والثاني غير مذموم.
فالأول: يتمنى أن تزول النعمة من صاحبه.

وأما الآخر فهو يجب أن يعطاها دون أن يتمنى زوالها من أخيه، وفي الحديث: ﴿ لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ﴾⁽³⁾. أخرجاه. وفي رواية: ﴿ لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله هذا الكتاب، فقام به آتاء الليل وآتاء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فتصدق به آتاء الليل وآتاء النهار ﴾⁽⁴⁾.

الكبر والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين والاستهزاء بهم

يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ ﴾⁽⁵⁾ [سورة غافر، الآية: 56].
ويقول -جل وعلا-: ﴿ سَأَصْرَفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾⁽⁶⁾ [سورة الأعراف، الآية: 146].

ويقول -جل وعلا-: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾⁽¹⁾ [سورة القصص، الآية: 83]. وقال -سبحانه-: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ

1 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفائها لشيخ الإسلام.

2 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفائها لشيخ الإسلام.

3 - رواه البخاري (165/1) ومسلم (559/1) عن ابن مسعود- رضي الله عنه.

4 - رواه البخاري (73/9) ومسلم (559/1) عن ابن عمر- رضي الله.

5 - سورة غافر آية: 56.

6 - سورة الأعراف آية: 146.

- (2) [سورة غافر، الآية: 35]. وقال: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (3) [سورة المتكبر جبار ﴿﴾
- النحل، الآية: 23]. وقال - سبحانه -: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ (4) [سورة التوبة، الآية: 25].
- ومن وصايا لقمان لابنه: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ (5) [سورة لقمان، الآية: 18]. وتزكية النفس بلاء وأي بلاء: قال - جل وعلا -: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (6) [سورة النجم، الآية: 32].
- وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ (7) [سورة النساء، الآية: 49]. ونهى - سبحانه - عن السخرية فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّمَّنَّ ﴾ (8) [سورة الحجرات، الآية: 11]. والاستهزاء مرض مهلك: ﴿ قُلْ أِبَالَهُمْ وَعَٰيَتِهِمْ وَرَسُولُهُمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (9) [سورة التوبة، الآيتان: 65-66]. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ (10) [سورة المطففين، الآية: 29].

1 - سورة القصص آية: 83.

2 - سورة غافر آية: 35.

3 - سورة النحل آية: 23.

4 - سورة التوبة آية: 25.

5 - سورة لقمان آية: 18.

6 - سورة النجم آية: 32.

7 - سورة النساء آية: 49.

8 - سورة الحجرات آية: 11.

9 - سورة التوبة آية: 65-66.

10 - سورة المطففين آية: 29.

ويقول ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر [٥٢]، (1) ويقول ﷺ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم [٥٣] (2).

وقد كثر في زماننا احتقار الآخرين، والتعالي والتكبر عليهم، فتجد أحدهم يحتقر فلانا لأنه دونه في العلم، أو لأنه دونه في المرتبة أو الوظيفة، أو لأنه فقير، أو لأنه من قبيلة كذا... وهلم جرا. وقد ورد عنه، ﷺ أنه قال: لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم [٥٤] (3).

وبعض الناس يتأفف من أن ينادي من هو أقل منه درجة أو رتبة باسم الأخوة، بل يصدر إليه الأمر دون تهذيب أو حسن أسلوب، ودون مراعاة لنفسيته، كل ذلك بدعوى المحافظة على الهيبة والهيمنة. وما روى المسكين أنه ربما أن يكون من يراه فراشا أحب عند الله وأفضل بآلاف المرات، يقول الرسول، ﷺ رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره [٥٥] (4). ومما ينبغي التنبيه عليه أيضا قضية الاستهزاء بالصالحين، وهي قضية خطيرة.

يقول الله -تعالى-: ﴿ قُلْ أِبَالَهُمْ وَعَاقِبَتُهُمْ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ كَتُمَّ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [٥٦] لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٥٧﴾ [سورة التوبة، الآيتان: 65-66].

وكذلك الاستهزاء ببعض الشعائر كاللحية والحجاب وتقصير الثوب مما يخشى على من يستهزئ بها من الردة -والعياذ بالله- فلننتبه ولننبه إخواننا، فالأمر جد خطير.

الحقد والغل

فمن دعاء المؤمنين التابعين بإحسان: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (1) [سورة الحشر، الآية: 10].

1 - رواه مسلم (93/1).

2 - رواه مسلم (1986/4).

3 - رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

4 - رواه مسلم (2024/4).

5 - سورة التوبة آية: 65-66.

ويقول تعالى مخبرا عن إكرامه لأهل الجنة: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ

﴿ (2) [سورة الحجر، الآية: 47]. ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجَرَّىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ (3)

[سورة الأعراف، الآية: 43].

ولعلنا نقتصر في الحديث عن هذا المرض بهذه القصة المعبرة: قصة عبد الله بن عمرو بن العاص، ذلك الشاب الذي رباه الرسول ﷺ وأدبه وعلمه، رباهم على مواطن العزة والقوة والعلم، لا كحال كثير من شبابنا اليوم ممن استهوهم الرياضة أو الفن أو غيرها مما لا ينفعهم، بل يضرهم.

روي الإمام أحمد من حديث أنس رضي عنه قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ قال: ﷻ يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته (أي: تقطر) من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيت أبي (أي: خاصمت) فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار (أي: استيقظ) وتقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعته يقول إلا خيرا، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحترق عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كبير عمل. فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما

1 - سورة الحشر آية: 10.

2 - سورة الحجر آية: 47.

3 - سورة الأعراف آية: 43.

وليت دعائي فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً. ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التي بلغت بك، وهي التي لا تطاق ﴿٥٣﴾ (1).

إذن ! هذا هو قدر امتلاء القلب بمحبة المسلمين، والصفح عنهم، والصبر عليهم.

ولتتدبر أخي المسلم - هذا الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعاً: ﴿٥٤﴾ تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجل كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا (أي: أخرجوا) هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا ﴿٥٥﴾ (2).

وقد ذكر الأطباء أن الغل يؤدي بصاحبه في الدنيا لأثره السيء على صحة الإنسان وسلامته، وهذه هي العقوبة العاجلة والآجلة أشد وأنكى.

اليأس

وهو مرض ينشأ عند استحكام البلاء، واستبطاء نصر الله، فييأس بعض الناس من نصر الله ووعدته (3) بما يؤدي عند بعضهم إلى ترك الدعوة والعمل، وأعظم من ذلك اعتقاد تخلف وعد الله أو وعيده في الدنيا أو الآخرة.

ولا نزال نسمع أن بعض الناس تخلفوا عن الطريق لاعتقادهم -مثلاً- أنه في ضوء هذا الواقع المر، واستحكام أعداء الله، وقبضتهم على زمام الأمور، وسيطرتهم على الأوضاع السياسية والاقتصادية، لا يمكن أن ينتصر الإسلام أو تقوم له قائمة.

وهذه قصة أخبرني بها أحد الأصدقاء عن رجل صالح خير مارس الدعوة إلى الله، ثم تخلى عن ذلك. فجاءه محبوبه، وسأله عن ذلك، فقال: هل نستطيع أن ندعو إلى الله في غفلة عن أمريكا، وأجهزة تصنتها ومخابراتها، فهل يخفى عليها شيء، وعلى هذا فلن نستطيع عمل شيء - هكذا قال.

1 - رواه أحمد (238/19 فتح) والنسائي في عمل اليوم والليلة، وقال ابن كثير في رواية النسائي، هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، تفسير ابن كثير (337/4) ط المعرفة.

2 - رواه مسلم (4/1987).

3 - وتحسن الإشارة هنا إلى أن معنى قوله تعالى: (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم كذبوا جاءهم نصرنا) [يوسف: 110]، أي حتى استيأسوا من قومهم، أي يتسوا من إسلامهم وإجابة

دعوتهم، وهذا تفسير عائشة - رضي الله عنها - كما في صحيح البخاري.

وقد نسي هذا المسكين أن الله ﴿ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۚ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1) [سورة يوسف، الآية: 21].

وهذه قصة موسى -مثلا- تحكي في كل مرحلة من مراحل حياته أو دعوته عناية الله به وبالدعوة، وإملاء الله للظالمين، والتمكين لهذه الدعوة ولتأمل قوله -تعالى-: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آتٍ فِرْعَوْنُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (2) [سورة القصص، الآية: 8]. وقوله -تعالى-: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (3) [سورة القصص، الآية: 13]. وقوله ﴿ وَعَجَبٌ ﴾ (4) [سورة القصص، الآية: 20]. ولما قال بعض قومه ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (5) [سورة الشعراء، الآية: 61]. قال لهم واثقا: ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (6) [سورة الشعراء، الآية: 62]. وهكذا قصص الأنبياء تبين حفظ الله لدعوته، وإملاءه للطغاة الظلمة، حتى تتمكن هذه الدعوة الربانية ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (7) [سورة القصص، الآية: 5].

ويعجبني أن أذكر هنا قصة مشهورة تبين نقاء النظرة، وصفاء السريرة لرجل من عامة الناس، فإن آباءنا يذكرون أنه في أثناء حصار إحدى المدن، حدث أن بدء الناس يتحدثون عن الطائرات التي قد

1 - سورة يوسف آية: 21.

2 - سورة القصص آية: 8.

3 - سورة القصص آية: 13.

4 - سورة القصص آية: 20.

5 - سورة الشعراء آية: 61.

6 - سورة الشعراء آية: 62.

7 - سورة القصص آية: 5.

يستخدمها العدو، ففرع بعض الناس وخافوا، ولم يكونوا رأوا الطائرات بعد، فجاء هذا الأعراي، وسأل الناس عن هذه الطائرات؟ قالوا: شيء يأتي من فوق يرمينا بالقنابل، فقال: بفطرته السليمة - أهي فوق الله أم الله فوقها؟! فلما أجابوه بأن الله أعلى منها، قال: لا تمكم. وما أحوجنا إلى أمثال أصحاب هذه الفطر السليمة.

وهذه قصة أخرى تنمي للفائدة، إلا إن صاحبها شاعر فاسق ماجن وهي أنه لما قام أحد رؤساء الدول العربية، وقال: إن (99%) من أوراق القضية الفلسطينية بيد أمريكا، ومعنى هذا: أن نستسلم لأمريكا، ونسلمها مقاليد الأمور، فرد عليه هذا الشاعر الفاسق قائلاً:

ولتعلم أمريكا أنها ليست هي الله العزيز القدير ولن تمنع الطائر من أن يطير

(وصدق وهو كذوب).

فلنتبه إلى هذا المرض، ولنستشعر قوله -تعالى-: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَحْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (1) [سورة المائدة، الآية: 3].

وأخيراً فلنتأمل قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (2) [سورة يوسف، الآية: 87].

الهوى ومحبة غير الله

فإنه آفة الآفات، والسم الزعاف لهذا القلب، يوم أن تكون محبة الشخص لغير الله، وموالاته ومعاداته في سبيل دنياه، وأهوائه، وأطماعه الشخصية. وهذا لا شك موصل صاحبه إلى الهلاك والبوار وتأمل معي في هذه الآيات: (3) ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (1)

1 - سورة المائدة آية: 3.

2 - سورة يوسف آية: 87.

3 - دلالة هذه الآيات أعم مما ذكر فينتبه لذلك.

[سورة النجم، الآية: 23] ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ ⁽²⁾ [سورة الأنعام، الآية: 71] ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى ﴾ ⁽³⁾ [سورة القصص، الآية: 50] ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ ⁽⁴⁾ [سورة الجاثية الآية: 23] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ⁽⁵⁾ [سورة محمد، الآية: 16] ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ⁽⁶⁾ [سورة الأنعام، الآية: 119] والهوى مرض من أمراض القلب سواء أكان الهوى بمعناه العام أو الخاص.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان كون الحب يعمي ويصم: ".. ولذلك قال الشاعر:

عدو لمن عادت, وسلم لأهلها
ومن قربت ليلى أحب وأقربا ⁽⁷⁾

فهذا جعل الولاء والبراء في ليلى، وليس في الله.

وذكر شيخ الإسلام أيضا قصة رجل أحب امرأة سوداء حبا عجيبا، أخذت عليه مجامع قلبه، فيقول هذا الرجل:

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

1 - سورة النجم آية: 23.

2 - سورة الأنعام آية: 71.

3 - سورة القصص آية: 50.

4 - سورة الجاثية آية: 23.

5 - سورة محمد آية: 16.

6 - سورة الأنعام آية: 119.

7 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفائها لشيخ الإسلام.

والواجب أن يكون حبنا وبغضنا، وعطاؤنا ومنعنا، وفعلنا وتركنا لله - سبحانه وتعالى - لا شريك له، ممثلين قوله، ﷺ من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان ﴿٥٢﴾ (1).

وأسوأ أنواع الحب محبة أعداء الله.

الخشية والخوف من غير الله

يقول تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ ﴾ (2) [سورة المائدة، الآية: 44] ويقول - عز وجل -: ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (3) [سورة التوبة، الآية: 13].

ومن صفات الذين في قلوبهم مرض أنهم يقولون ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ (4) [سورة المائدة، الآية: 52] ومن صفات الذين سلمت قلوبهم وآمنت ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (5) [سورة آل عمران، الآية: 173].

وهناك خوف جبلي لا يقدر في المعتقد كخوف الإنسان من عدوه إنسانا أو حيوانا، أما الخشية فلا تكون إلا من الله.

وعدم الخوف دليل على قوة القلب وجسارته، كما أنه دليل على الإيمان، قال الإمام أحمد: "لو صححت لم تخف أحدا"، أي من المخلوقين.

الوسواس

وهو بلاء عمّ وطمّ، وصار يلعب بكثير من الناس، ويضيع عليهم فرائضهم وعباداتهم، يقول الشيخ السعدي - في جواب له عن دواء الوسواس: ليس له دواء إلا سؤال الله العافية، والاستعاذة

1 - رواه أحمد عن معاذ بن أنس وغيره.

2 - سورة المائدة آية: 44.

3 - سورة التوبة آية: 13.

4 - سورة المائدة آية: 52.

5 - سورة آل عمران آية: 173.

بالله من الشيطان الرجيم، والاجتهاد في دفع الوسوس، وأن يتلهمي عنها ولا يجعلها تشغل فكره، فإنه إذا تمادت فيه الوسوس اشتدت واستحكمت، وإذا حرص على دفعها والتلهمي عن الذي يقع في القلب اضمحلت شيئاً فشيئاً، والله أعلم⁽¹⁾.

وقد أمرنا بالتعوذ منه كما في سورة الناس: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾⁽²⁾ [الناس: 1-6].

قسوة القلب

وهو مرض تنشأ عنه أمراض، وتظهر له أعراض ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله وأخذ بالأسباب: وتظهر خطورة هذا الداء من خلال هذه الآيات:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾⁽³⁾ [سورة البقرة، الآية: 74] ﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾⁽⁴⁾ [سورة الأنعام، الآية: 43] ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهُ ﴾⁽⁵⁾ الزمر: 22 ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾⁽⁶⁾ [سورة الحديد، الآية: 16].

وأبعد القلوب من الله القلب القاسي.

التحزب لغير الحق

وهو مرض خطير، وداء يقتل ويهلك الأفراد والأمة على حد سواء، وهو على نوعين:

1- التحزب لبعض المبادئ الأرضية:

1 - ينصح في هذا المجال الرجوع إلى كتاب العلامة ابن القيم إغاثة اللهفان، وكذلك محاضرة: "رسالة إلى موسوس" للشيخ سلمان العودة.

2 - سورة الناس آية: 1-6.

3 - سورة البقرة آية: 74.

4 - سورة الأنعام آية: 43.

5 - سورة الزمر آية: 22.

6 - سورة الحديد آية: 16.

كالقومية والوطنية والعلمانية وغيرها من المبادئ الضالة، وهذه قد راج سوقها وكثر، خاصة في هذه الأيام، ونحن نسمع عما يسمى (الوحدة الوطنية)، وهي الحب على أساس المواطنة، فما كان من وطنك تحبه سواء كان مسلماً أو فاسقاً أو كافراً، فالمهم أنه مواطن مثلك، بينما لا تحمل هذا الشعور لأخ مسلم من غير وطنك، ولو كان من أتقى الناس.

فهي موالاتة ومعاداة على أساس الوطن. حتى قال أحدهم -فض الله فاه-: كل حب يذهب ويتلاشى إلا حب الوطن. يعني إلا حب التراب، حب الأرض، ملاً الله جوفه قيحا وصديدا، هكذا: كل حب يذهب حتى حب الله عجل ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا حب الوطن، فهو شرك من نوع جديد.

وما دري هذا المسكين أننا لا نزال نقرأ في القرآن: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ⁽¹⁾ وقد

نزلت في عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي لهب، ونحن نتبرأ منه ونبغضه. ونحن لا نزال نثني على بلال الحبشي وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وترضى عنهم، ونسأل الله أن نحشر في زمرةم.

ولا يفهم من هذا الكلام أننا لا نحب الوطن، كلا، فهو أمر جبلي مركوز في النفس، لكن حب الوطن لا بد أن يكون خاضعا لحب الله ورسوله. وهل هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وأفضل بقاع الأرض (مكة) إلا لما كان في ذلك مرضاة لله ورسوله، وهكذا المهاجرون وغيرهم.

2- التحزب من بعض المسلمين ضد بعض:

فنجد بعض الدعاة يتحزبون ضد بعض، وبعض طلبة العلم يتحزبون ضد بعض، فيحب هذا أكثر من هذا لأن الأول من حزبه، ولو كان الثاني أتقى منه وأفضل. وهذا خطأ كبير، وهذا يجب ذاك لأنه يتبع شيخه أو إمامه، ويعادي الآخر لأنه يتبع إماما أو شيخا آخر.

فالواجب موالاتة المسلمين لإيمانهم، ومعاداة الكفار لكفرهم، ولا يجوز التحزب لغير الحق، فإنه يورث الأمة التفرق والتشتت ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَدَابُ عَظِيمٌ ﴾ ⁽²⁾ [سورة آل عمران، الآية: 105] وهناك فرق كبير بين التحزب وبين التنافس في الخير

1 - سورة المسد آية: 1.

2 - سورة آل عمران آية: 105.

فالتنافس مطلوب ومحمود ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾⁽¹⁾ [سورة آل عمران، الآية:

133] ﴿ (خطأ) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾⁽²⁾ [سورة الحديد، الآية: 21] أما التحزب

فمذموم، وكم أودى بأمم وجماعات وأفراد. حتى صار حال بعضهم كما قال الشاعر:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وعلاج التحزب بالتجرد لله - جل وعلا-، والسلامة من الهوى والتحري في المنهج، وأن نعرف الرجال بالحق، لا الحق، بقول الرجال.

واذكر الدعاء بقوله ﷺ في الحديث: ﴿ إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم ﴾⁽³⁾.

وأخيراً: قد يقول قائل: ولكن ما العلاج؟ فأنت شخصت الداء، فهلا بينت الدواء، وعلمتنا طريق النجاة.

فلا أدعي أنني سوف أحيط بجوانب علاج أمراض القلوب، ولكن حسبي أن أذكر شيئاً من الوسائل لعلاج هذه الأمراض، اختصرها بما يأتي:

1 - سورة آل عمران آية: 133.

2 - سورة الحديد آية: 21.

3 - هناك خلط كبير بين الحزبية والانتماء، حتى أصبح الحديث عن أحدهما يراد به المعنى الآخر، مع أن هناك فرقاً بينهما، فالحزبية مذمومة، إلا تحزب المؤمنين ضد الكافرين، والانتماء لأهل السنة والجماعة مشروع، ولا يذم منه إلا ما كان انتماءً بدعياً أو جاهلياً.